

منبر المحراب

المزايا الأخلاقية للإمام الحسن المجتبى

السنة الخامسة عشرة
العدد ٨٤٩ - ١١/رمضان/ ١٤٣٠ هـ
الموافق ١١/أيلول/ ٢٠٠٩ م

محاور الموضوع الرئيسية:

- مولد النور
- من مكارم أخلاقه
- من جوامع مواعظه

الهدف: التعرف على بعض مزايا الإمام الحسن الأخلاقية والاجتماعية.

تصدير الموضوع: قال النبي محمد: «الحسن والحسين ابناي من أحبهما أحببتي، ومن أحببني أحبّه الله، ومن أحبّه الله أدخله الجنة، ومن أبغضهما أبغضني، ومن أبغضني أبغضه الله، ومن أبغضه الله أدخله النار»^(١)

(١) مستدرک الحاكم: ٢ / ١٦٦ وإعلام البورى: ١ / ٤٣٢.

١- مولد النور:

ولد الإمام الحسن في السنة الثالثة للهجرة ليلة النصف من شهر رمضان المبارك في المدينة المنورة ما بعث في نفس رسول الله نبيا تباشير الفرح، وقام من ساعته إلى بيت الصديقة فاطمة الزهراء وعنادي يا أسماء أين ولدي؟.. فقدمته إلى جده فاستقبله والبشرى تلوح على وجهه، فأخذ ابنه برفق، وضمه إليه وراح يلثمه بعطفه وحنانه، ثم أذن رسول الله في أذنه اليمنى ثم أقام في اليسرى... وجاء الإمام علي إلى فاطمة

وسألها عن اسم المولود، أجابته: ما كنت لأسبقك، فأردف عليّ: قائلًا: وما كنت لأسبق رسول الله فجاء الإمام علي إلى رسول الله فسأله عن اسم المولود، فأجاب رسول الله: كنت لأسبق ربّي، فنزل جبرائيل من السماء على رسول الله وقال له: إن الجليل يقرؤك السلام ويقول لك اسمه حسن، فكان كذلك. ثم عوّ عنه وحلق رأسه وتصدق بزنة شعره فضة فكان وزنه درهماً وشيئاً^(١)، وأمر فطلي رأسه طيباً، وسُنّت بذلك العقيدة والتصدّق بوزن الشعر وكنّاه (أبا محمد).

- من مكارم أخلاقه:

فالإمام الحسن حاز على صفات جده رسول الله في خلقه وخلقته وقد أورد الشيخ المفيد (رحمه الله) في الإرشاد أنه: كان الحسن بن علي يشبه النبي من صدره إلى رأسه والحسين يشبهه من صدره إلى رجليه. وقال أيضاً: «كان الحسن أشبه الناس برسول الله خلقاً وخلقاً وهياً وهدياً وسؤدداً». وقال رسول الله للحسن ذات مرة: «أشبهت خلقي وخلقى»^(٢).

١- إن الله لا يحب المتكبرين:

روى المؤرخون عن تواضعه وكرم

أخلاقه عشرات الروايات فمن ذلك انه اجتاز على جماعة من الفقراء وقد جلسوا على التراب يأكلون خبزاً كان معهم، فدعوه إلى مشاركتهم فجلس معهم وقال: «إن الله لا يحب المتكبرين، ولما فرغوا من الأكل دعاهم إلى ضيافته فأطعمهم وكساهم وأغدق عليهم من عطائه، ومرة أخرى مر على فقراء يأكلون فدعوه إلى مشاركتهم، فنزل عن راحلته وأكل معهم ثم حملهم إلى منزله فأطعمهم وأعطاهم»، وقال: «اليد لهم لأنهم لم يجدوا غير ما أطعموني ونحن نجد ما أعطيناهم».

٢- الله أعلم حيث يضع رسالته:

مرّ به رجل من أهل الشام من غداهم معاوية بالحق والكرهية لعليّ وآل عليّ فجعل للإمام الحسن بالسب والشتم والإمام ساكت لا يتكلم وهو يعلم بأن الشامي لا يعرف عليّاً وآل عليّ إلا من خلال الصورة التي كان معاوية بن هند يصورهم بها وعندما انتهى الشامي من حديثه بما فيه من حلف وفضاظة ابتسم له إليه وتكلم معه بأسلوب هادئ ينم عن سماحة وكرم متجاهلاً كل ما سمع وما رأى، وقال: «أيها الشامي أظنك غريباً فلو أنك سألتنا أعطيناك، ولو استرشدتنا أرشدناك، وإن كنت جائعاً أطعمناك، وإن كنت محتاجاً أغنيّاك، أو طريداً أو يئساً»، ومضى يتحدث إلى الشامي

(١) (صلح الإمام الحسن)، راضي آل ياسين، ص ٢٥.

(٢) (أعيان الشيعة السيد الأمين، المجلد الأول، ص ٥٦٣).



إليه يصعد الكلم الطيب

بهذا الأسلوب الذي يفيض بالعطف والرحمة حتى ذهل الشامي وسيطر عليه الحياء والخجل وجعل يتململ بين يديه يطلب عفوه وصفحه ويقول: «اللَّهُ أعلم حيث يجعل رسالته».

٣- سخاء وكرم رسول الله ﷺ:

رأى ﷺ غلاماً أسود يأكل من رغيف لقمة، ويطعم كلباً هناك لقمة فقال له: «ما حملك على هذا؟» قال: «إني استحي منه أن أكل ولا أطمعه». فقال له الحسن ﷺ: «لا تبرح مكانك حتى آتيك». فذهب إلى سيده، فاشترى واشترى الحائط (البستان) الذي هو فيه، فأعته، وملكه الحائط.

وسأله رجل أن يعطيه شيئاً فقال له: «إن المسألة لا تصلح إلا في غرم فادح أو فقر مدقع أو حمالة مقطعة» (١٦)، فقال له: ما جئتك إلا في إحداهن فأعطاه مائة دينار، ثم اتجه الرجل إلى الحسين ﷺ فأعطاه تسعة وتسعين ديناراً وكره أن يساوي أخاه في العطاء...

ويروي المؤرخون عن سخائه أيضاً أن جماعة من الأنصار كانوا يملكون بستاناً يتعاشون منه فاحتاجوا لبيعه فاشترى منهم بأربعمائة ألف، ثم أصابتهم ضائقة بعد ذلك اضطرتهم لسؤال الناس، فرد عليهم البستان حتى لا يسألوا أحداً شيئاً.

د- أزهد الناس وأعبدهم: كان أعبد الناس في زمانه وأزهدهم وأفضلهم وكان إذا حجَّ حجَّ ماشياً وربما مشى حافياً، ولا يمر في شيء

من أحواله إلا ذكر الله سبحانه وكان أصدق الناس لهجة وأفصحهم منطقاً وكان إذا بلغ المسجد رفع رأسه ويقول: «الهي ضيفك ببابك يا محسن قد أتاك المسيء فتجاوز عن قبيح ما عندي بجميل ما عندك يا كريم»^(١) وكان إذا توضأ، أو إذا صلى ارتعدت فرائضه واصفر لونه من خشية الله تعالى. وقاسم الله تعالى ماله ثلاث مرات. وأخرج من ماله لله تعالى مرتين.

هـ- أينما يحسن الوضوء: ففي الجانب الأخلاقي هناك قصة جميلة يتداولها أصحاب السير والمؤرخون وهي أن الحسنين ﷺ مرَّا على شيخ يتوضأ ولا يحسن فأخذا ﷺ في التنازع وكانا صغيرين لم يتجاوزا العقد الأول من السنين يقول كل واحد منهما للآخر: أنت لا تحسن الوضوء. فقالا: أيها الشيخ كن حكماً بيننا يتوضأ كل واحد منّا فتوضأ، ثم قال: أينما يحسن؟ قال: كلاهما تحسنان الوضوء. ولكن هذا الشيخ الجاهل. وهو يشير إلى نفسه. هو الذي لم يكن يحسن، وقد تعلم الآن منكما وتاب على يديكما ببركتكما وشفقتكما على أمة جدكما.^(٢)

٢- من جوامع مواظبه:

أ- يا ابن آدم: عَفَّ عن محارم الله تكن عابداً، وأرض بما قسم الله تكن غنياً وأحسن جوار من جاورك تكن مسلماً، وصاحب الناس بمثل ما

تحب أن يصاحبوك به تكن عادلاً. إنه كان بين يديكم أقوام يجمعون كثيراً، وبينون مشيداً، ويأملون بعيداً، أصبح جمعهم بوراً، وعملهم غروراً، ومساكنهم قبوراً. يا ابن آدم: لم تزل في هدم عمرك منذ سقطت من بطن أمك، فخذ مما في يديك لما بين يديك، فإن المؤمن يتزود والكافر يتمتع.^(٣)

ب- المبادرة إلى العمل: اتقوا الله عباد الله، وجدوا في الطلب وتجاه الهرب، وبادروا العمل قبل مقطعات النقمات، وهادم اللذات، فإن الدنيا لا يدوم نعيمها، ولا يؤمن فجيئها، ولا تتوقى مساوئها، غرور حائل، وسناد مائل، فاتعظوا عباد الله بالعبر، واعتبروا بآثر. وازدجروا بالنعيم. وانتفعوا بالمواعظ، وكفى بالله معصماً ونصيراً، وكفى بالكتاب حجيماً وخصيماً، وكفى بالجنة ثواباً، وكفى بالنار عقاباً ووبالاً.^(٤)

ج- حب الدنيا: ... الخير كله في صبر ساعة واحدة، تورث راحة طويلة وسعادة كثيرة. والناس طالبان: طالب يطلب الدنيا حتى إذا أدركها هلك، وطالب يطلب الآخرة حتى إذا أدركها فهو ناج فائز، واعلم - أيها الرجل! - أنه لا يضرُّك ما فاتك من الدنيا، وأصابك من شدائدها إذا ظفرت بالآخرة، وما ينفعك ما أصبت من الدنيا، إذا حرمت الآخرة.^(٥)

(٣) (أعيان الشيعة ج ٤ - ١ - ص ٤٥: السيد محسن الأمين العاملي).
(٤) (تحف العقول).
(٥) (إرشاد القلوب ص ٢٢: للديلمي، الإمام الحسن - م).

(١) (في رحاب أئمة أهل البيت ﷺ السيد الأمين المجلد ٣، ص ٥).
(٢) (بحار الأنوار، الشيخ المجلسي، ج ٤٢، ص ٢٢٢).